Journal Of the Iraqia University (75-3) February (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الليل في شعر البحتري

أ.م.د. ميادة حسين رشيد
المديرية العامة لتربية صلاح الدين

Night in The Poetry of Al-Buhturi

Assi. Prof. Dr. Mayada Hussein Rashid
Mayada.hussein@gmail.com

الملخص

الليل في الأدب العربي كان وما زال محور الحركة والحياة والإلهام، رغم ظلمته إلا أنه رمز للصديق والرفيق، والشيب والشباب، والهرم والموت، والحنين والانتظار، والسهر والحزن، والهواجس جميعها من مكنونات النفس وخلجات الصدر، تارةً رمز للخير وتارةً رمز للشر، فهو السكون والجمال والهيبة والخوف والبرد والدفء، يتجلى كأروع ما خلق الله، فهو آية من آيات إبداع الله في الكون، يطوّعه الشاعر لما يروم من المعاني، فهو خزينة الأسرار وملتقى الأحبة والعشاق، يعمّ الظلام فيه وتشتد اللوعة، فضلاً عن اتخاذ الشعراء لليل مجالاً للفن وخلفيةً للصور الشعرية وأداة شعورية.

كلمات مفتاحية: شعر، البحتري، الليل

Summary

The night in Arabic literature has been and continues to be a central motif of movement, life, and inspiration. Despite its darkness, it symbolizes companionship and friendship, aging and youth, decline and death, nostalgia and anticipation, sleeplessness and sorrow, as well as the inner stirrings and emotions of the soul. At times, it represents good, and at others, evil. It embodies tranquility, beauty, awe, fear, coldness, and warmth, manifesting as one of the most splendid creations of God, a sign of divine artistry in the universe. Poets harness the night to convey their intended meanings, as it serves as a treasury of secrets and a meeting place for lovers and beloveds. In its darkness, longing intensifies, and poets employ the night as a realm for artistic expression, a backdrop for poetic imagery, and a tool for evoking emotions.

Keywords: Poetry, Al-Buhturi, Night

مدخل

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل الليل عظيمًا بجلاله، وجعله آيةً من آيات الكون، وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ، وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا النبأ، (١٠،١١)، فيه السكنُ والراحة للإنسان فروح الإنسان تجد فيه ملكة التأمل من آفات بعيدة فالليل بطوله وقصره يعدّ مبعثًا للمشاعر والأحاسيس، فقد حظي بنصيب وافر في التراث الشعري العربي، وأخذ مأخذًا واسعًا عند الشعراء في صور متنوعة، فهو يأخذ ألوانًا حسب عاطفة الشاعر وما يحس به إذ نرى بعض الشعراء ينقلب ليلهم نهارًا ونهارهم ليلاً على ما يكابد من هموم ويقاسي من الآم، وقد أكثروا الحديث عنه، رهبةً منه ورغبةً فيه، فمعه ينتاب الإنسان الحزن وتتضاعف في صدره الهواجس، وإن الليل صديق الشعراء، وملاذٌ آمنٌ للتعبير عن خلجات الصدر ومكنونات الروح، فالشاعر يترك لخيالهِ الجموح في عالم لا حدود له في الكون، فالليل كائن مخلوق محسوس، من خلاله يستطيع الشاعر تنظيم حياته بين الكد والراحة، والسعي والسكينة، واللباس والمعاش في مسيرة الحياة.ولعل لفظة (الليل) وما يرتبط بها من ألفاظ ومعانٍ ودلالات، قد وردت كثيرًا في ديوان شاعرنا (البحتري)، وقفنا على بعضٍ منها من أجل الدراسة والبحث فهو يستخدم هذه اللفظة للدلالة على ما رسمته مخيلته، فقد طوّع بملكته الشعرية اللغة، وجعلها مفتاحًا لما يروم من المعاني إذ إنه صوّر الليل بما يدركه خياله وعقله، فأحيانًا يجعل صورة الليل بؤرةً للهموم ومفتاحًا للمعاناة، وأحيانًا رمزًا للشباب والفتوة والحيوية والنشاط، فالليل كالشعر الأسود، دليل على أيام عزةٍ وصبا، وقد يراه خزينةً للأسرار وملتقى الأحبة والعشاق.والبحث قراءة في صور الليل الشعرية عند البحتري، تنهض على التحليل والتأويل والوقوف على أساليب الشاعر الفنية في استعمال لفظة الليل ومدلولاتها حسب الزمن النفسي لليل الشاعر، وما تجيش به مشاعره في ترجمة شعوره الخاص حيال الليل.ومما ذكر عن الليل في شعر البحتري قوله[١]:

لَئِنْ طَالَ لَيْلِي فِي هَوَاكَ وَلَوْعَتِي لَمَا كَانَ حَظِّي فِي هَوَاكَ بِطَائِلِ

عَدِمْتُ النِّسَاءَ بَعْدَ (شَمْسَةَ) إِنَّهَا أَرَتْنَا كُسُوفًا فِي شُمُوسِ الْأَصَائِلِ

يكثر البحتري من المقدمات الغزلية في قصائده، سواء كانت مدحًا أو فخرًا أو غير ذلك، وقد بدأ هنا بأسلوب الشرط بنص تقابلي (لئن طال ليلي في هواك ولوعتي) (لما كان حظي في هواك بطائل) فقد قرن (طول ليله) بالصد والهجران من المحبوبة، وما هذا الا صراع نفسي وزفرات صدرٍ محبٍ وفيض لوعةٍ وهيام بالمحبوبة (شمسة)، التي يشبهها بشمس الغروب، وبعدها يعمّ الظلام وتشتد اللوعة لأنه غير طائل. وينقلنا الشاعر إلى عالم آخر وخيال أوسع (أرتنا كسوفاً في شموس الأصائل) ففي هذه الصورة الأنيقة الدالة على عمق إحساس الشاعر ورهافة حسه وحسرته من ألم الفراق، دلالة على المبالغة في الكشف عن أسرار نفسه والبوح بها للمحبوبة ((ومن الطبيعي أن تقترن أغراض الصورة الفنية بالمبالغة، فيقال إن المجاز يهدف إلى أشياء ثلاثة: المبالغة والبيان، والإيجاز))[٢] وذلك دليل على حبه المتأصل وليله الطويل ولوعته المستمرة وحظه المتعثر.

ومن ذلك قوله يمدح المعتز بالله[٣]:

كَم لَيلَةٍ فيكِ بِتُّ أَسهَرُها وَلَوعَةٍ في هَواكِ أُضمِرُها!

وَحُرقَةٍ وَالدُموعُ تطْفئُها ثُمَّ يَعودُ الجَوى فَيُسعِرُها!

يا (عَلوُ)! عَلَّ الزَمانَ يُعقِبُنا أَيّامَ وَصلٍ نَظَلُّ نَشكُرُها

الليل مبعث الهموم، فيه تتضاعف الأحاسيس بالحزن والشكوى، فهناك أمور مضنية وقاسية لا تحتملها النفس فيلجأ الشاعر إلى الليل ليبوح بما في صدره من حسرة وألم، ففي هذه المقدمة الغزلية لقصيدته التي يمدح بها المعتز بالله، نجده يحاول أن يخفف من الحزن والحسرة التي أصابته بغياب (علوة) محبوبته، فاختار الليل أنيسًا وجليسًا يبث شكواه وسهره، ويناجي نفسه، ويشيع في حناياه جوًا من الوحشة والانقباض بما يتناسب مع حالته النفسية والشعورية. والليل هنا في هذا النص يتجاوز وظيفة الليلة الزمنية، بل يمثل مخاوف الإنسان من الزمن والمصير، وهذا ما منح النص قوة شعورية إضافية.ومثل ذلك قوله في مدح المتوكل[٤]:

العَيشُ في لَيلِ (دارَيّا) إِذا بَرَدا وَالراحُ نَمزُجُها بِالماءِ مِن (بَرَدى)

قُل لِلإِمامِ الَّذي عَمَّت فَواضِلُهُ شَرقاً وَغَرباً فَما نُحصي لَها عَدَدا

اللهُ وَلّاكَ عَن عِلمٍ خِلافَتَهُ وَاللهُ أَعطاكَ ما لَم يُعطِهِ أَحَدا

نجد البحتري يربط بين حالته النفسية ومشهد الليل الكوني، فالليل عنده ليس مجرد شعور شخصي، بل يمتد ليصبح مرآة للكون كله فأحيانًا يعكس وحدة الإنسان أمام اتساع الوجود، وأحيانًا يشير إلى صمت الطبيعة حين يغيب الضجيج البشري. و((في الليل عادةً هناك فرصة للاختلاء بالنفس ومرور موكب الذكريات، وقد يحاول الإنسان أن يهرب من عالم الواقع إلى عالم الأحلام عسى أن يجد هناك ما يطيب خاطره))[٥]. فشاعرنا يتمنى العودة للعيش في (داريّا) ليلاً إذا النجوم والهدوء والسكينة وما يطيب به الخاطر من الراحة والحب واللهو. فجاءت لفظة (الليل) دالة على السكون والهدوء والطمأنينة. وقال يمدح عبد الله بن المعتز[٦]:

إِلَى ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَنَاهَبَتْ بِنَا الْعِيسُ دَيْجُورًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا

إِلَى مُنْعِمٍ لَا الْجُودُ عَنْهُ بِعَازِبٍ بَطِيءٍ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْهُ بِأَنْكَدَا

رَأَيْنَا بَنِي الْأَمْجَادِ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ فَكَانُوا لِعَبْدِ اللهِ فِي الْمَجْدِ أَعْبَدَا

الليل عالمٌ فسيح بما يكتنفه من غموض أو يضلله من سكون، تنشط فيه خيالات الشاعر فتسبح في عالمٍ فسيح من الروحانية وهذا هو البحتري يأخذنا إلى هذا العالم، ويصور لنا مشاهدًا وصورًا في لوحة فنية سارت فيها الإبل في ليلٍ مظلمٍ أسودٍ. وترتبط صورة الليل القاسية بقسوة الحياة، فقد أظهرت التجربة الشعرية للشاعر تماسًا بين القسوتين وتفاعلاً، مما يؤدي إلى سلسلة طويلة من الحزن والآهات، وكانت نهاية الرحلة والتعب تنتهي بالممدوح عبد الله بن المعتز، صاحب المعروف والأمجاد.أما قوله في مدح المعتز بالله[٧]:

إِمَامُ هُدًى يُحِبّبُ فِي التَّأَنِي وَيُخْشَى فِي السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ

إِذَا نَظَرَ الْوُفُودُ إِلَيْهِ قَالُوا: أَبَدْرُ اللَّيْلِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ؟

فإنه يعقد مقارنة في ذكر صفات ممدوحهِ ما بين بدر ليل وشمس النهار فالبعد الشمسي يزيد الليل جمالاً، فضلاً عن البدر التمام المكتمل الذي يزيد الليل بهاءً هو الآخر، فهذه تشبيهات قد أدخلت الليل في تحولات من ظلمته وخصائصه إلى أشياء يضبح بها مع نور بدره، وهي صورة مالية معهودة من صورة القمر وتمامه في سواد الليل وشدته.لقد استثمر الشاعر العالم الليلي بأبعادهِ النفسية والجمالية والرمزية، فقد جاء الليل في نصه ليس لخلفية زمنية، بل بإطلالةٍ شعرية ومجالٍ للتأمل، ومسرحٍ للجمال والضوء، فكان التشبيه موفقاً باستخدام (بدر الليل) و(شمس النهار)، وجعلها صفات للخليفة ومن قوله[٨]:

يَمْضِي الزَّمَانُ وَمَا قَضَيْتُ لِبَانَتِي مِنْ حُسْنِ مَوْهُوبِ الصِّبَا وَمَعَارِهِ

لَيْلٌ بِذَاتِ الطَّلْحِ أَسدافاتُهُ* أَشْهَى إِلَى الْمُشْتَاقِ مِنْ أَسْحَارِهِ

وَمِنْ أَجْلِ طَيْفِكِ عَادَ مُظْلِمُ لَيْلِهِ أَحْظَى لَدَيْهِ مِنْ مُضِيءِ نَهَارِهِ

يَنْأَى الْخَيَالُ عَنِ الدُّنُوِّ وَرُبَّمَا وَصَلَ الزِّيَارَةَ عِنْدَ شَحْطِ مَزَارِهِ

يرصد هذا النص الحركة الزمنية التي تدور في حلقة تبدأ بـ(يمضي الزمان) وهو موقف الألم والحسرة والحزن، لأن حلقات الزمن تحسب من العمر ولا تعود مرة أخرى فجاء الليل عند الشاعر يمثل بعداً رمزيًا وجوديًا، إذ يصبح الليل تمثيلاً للعمر، أو للزمن الضائع أو للقدر الغامض. ووجدنا أن (ليلٌ بـ ذات الطّلح) ينتج بعداً نفسيًا شديد الوطأة على ذات الشاعر، الذي كوّن من صورة الليل الجامدة خيالاً خصبًا مع ما يتوافق مع أحاسيسه المؤلمة أو المفرحة فـ ((الشعراء يشخصون الطبيعة ويملأونها أو يملأوون عناصرها من الشمس والقمر والسماء والأرض والبحار والأشجار بالعواطف والوجدانيات والمشاعر، لأنهم يريدون أن يتخذوا إلى الروح الداخلية لكون تلك الروح التي تشكل أشكالاً مختلفة تحت بصائرهم))[٩]، إذ انهم يلونون الليل والنهار بما يلامس مشاعرهم وعواطفهم.وقال يمدح الفتح بن خاقان*[١٠]:

وَأَهْلُ مَنًى إِذْ جَاوَزُوا الْخَيْفَ مِنْ مَنًى وَهُمْ عُصَبٌ فَوْضَى: مُحِلٌّ وَمُحْرِمُ

يُهِلُّونَ مِنْ حَيْثُ ابْتَدَا الصُّبْحُ يَرْتَقِي سَنَاهُ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى اللَّيْلُ يُظْلِمُ

لم يكن الليل في شعر البحتري كله بكاء وقلقاً بل نجده هنا يعطي صورة لليل حسب الطبيعة الساكنة، إذ يستثمر سكون الليل لإبراز جمال ضوء الصبح وحركة الظلال، وانعكاس الجمال والزينة فيه، فعندما يرتقي سنا الصباح، ينتهي ظلام الليل وتحل السكينة والهدوء. إذ ((يعد الليل ظاهرة طبيعية زمانية صامتةً ومثالاً حياً لتغير الزمان الذي نعيش فيه، وهو زمن له بداية ونهاية ويشكل سلسلة من الليال التي ما تلبث أن تُعد من الماضي بكل ما تنطوي عليه من عناصر))[١١]، فالليل والنهار يتجددان ما بقي الزمان والكون، ويبقى حجاج بيت الله يهللون ويكبرون ويلبون ما بقي الليل والنهار.ومن قوله في الليل[١٢]:

وَمُقامٍ بَيْنَ الأَسِنَّةِ ضَنْكٍ وَهَشيمٍ مِنَ الظُّبَا* مَرْصُوفِ

مَدَّ لَيْلًا عَلَى الكُمَاةِ* فَما يَمْـ شونَ فيهِ إِلَّا بِضَوْءِ السُّيُوفِ

حمل هذا النص أيضاً الصور الايجابية لليل فقد اختار الشاعر لفظة (الليل) ليجل منها صورة للأبطال الشجعان الذين يمشون ليلاً على ضوء سيوفهم اللامعة البتارة، وهذا المدحُ المتشح بظلام الليل دليل على إعلاء شأن الممدوح، وجعل نبأهم عالياً بين الناس، وأكثر تأثيراً في المتلقي، إذ إن ((الشعور يضل مبهماً في نفس الشاعر فلا يتضح إلا بعد أن يتشكل في صورة، ولابد أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها))[١٣]. فقد ظهرت مشاعر البحتري واضحة جلية في صورته التي امتدح بها المقابل.ومن قوله مادحاً أبا صالح (عبدالله بن محمد بن يزداد*)[١٤]:

أَبَا (صَالِحٍ) إِنَّ الْمَحَامِدَ تَلْتَقِي بِسَاحَةِ رَحْبٍ مِنْ فَنَائِكَ آنِسِ

بِحَيْثُ الثَّرى رَطْبٌ يَرِفُّ نَبَاتُهُ رَفِيفًا، وَعَهْدُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِخَائِسِ

تَقَيَّلْتَ مِنْ أَخْلَاقِ (يَزْدَادَ) أَنْجُمًا تَوَقِّدُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ دَامِسِ

وَمَا بَرِحَتْ تَدْنِي نَجَاحًا لِأَمَلٍ مُرَجٍّ، وَتَسْتَدْعِي رَجَاءً لِآيِسِ

كثيراً ما يستدعي البحتري الليل كأنيس من شكوى مظلمة ضاغطة عليه، إذ فيه يضعف الإنسان وتشتد مشاعره، خصوصاً عند غياب الحبيب أو فراق الأهل، وهنا يستدعي الليل الذي زينته أخلاق الممدوح بعدّها أنجماً تضيء ليلاً دامساً وهي صورة جميلة مألوفة في السماء متوهجة بليل دامس شديد الظلام والحلكة.والليل يأخذ ألواناً من الصور، فقد يصفه الشاعر بصفات تسبغ عليه شيء من الحزن والخوف، وذلك لسواده وشدة ظلامهِ، ولكن الشاعر هنا جعل من الليل ونجومه لوحة فنية شبه بها ممدوحه، استطاع الشاعر من خلالها أن يعبر عن كوامن نفسه تجاه المقابل. ومن ذلك قوله مادحاً محمد بن عبدالله بن طاهر(١٥):

غَرَامٌ مَا أُتِيحَ مِنَ الْغَرَامِ وَشَجْوٌ لِلْمُحِبِّ الْمُسْتَهَامِ

عَشِيتُ عَنِ الْمَشِيبِ غَدَاةَ أَصْبُو بِذِكْرِكِ أَوْ صَمَمْتُ عَنِ الْمَلَامِ

أَيَا قَمَرَ التَّمَامِ! أَعَنْتَ ظُلْمًا عَلَى تَطَاوُلِ اللَّيْلِ التَّمَامِ

أَمَا وَفُتُورِ لَحْظِكِ يوْمَ أَبْقَى تَصَرُّفَهُ فُتُورًا فِي عِظَامِي

استعان البحتري بإحساسه المرهف ومخيلته ومشاعره احتيالاً إلى ما يريد أن يصل إليه من صورة مدحية لممدوحه، مازجًا بين الحقيقة والخيال في اختيار لوحته ومقدمته الغزلية، فما يعنيه على طول ليلة التمام هو قمرها، ممدوحه الذي تغنى به وأسبغ عليه من الأوصاف التي تعينه على انقضاء ليله وعمل الجناس في لفظة التمام أثره في المديح ارتبطت الأولى بمعنى البدر المكتمل والثانية بطول الليل وتمامه فضلاً عن لفظة فتور التي تدل الأولى على صفة جمالية في العين فيما انصرفت الأخرى على أثر ذلك الجمال الذي سرى كالشراب والنعاس على ارتخاء المفاصل وكأنه يجري مثل الماء. وتكمن في النص عواطف جياشة تعكس نفسية الشاعر ولواعجهُ وصبره وطول ليله، فجاءت كلماته خير وسيلة أدت الغرض المرجو من النص وقد ((كان الخيال عنصرًا مهمًا في التجربة الشعرية، لأنه يساعد على تمام الحكم واكتماله وبمقدار ما يجعلنا الشاعر نحكم، تكون قيمة قصيدته إذ يخرجنا من عالمنا الحقيقي إلى عالمه النفسي))(١٦). وهنا استطاع الشاعر من خلال نصه أن يرسم لنا صورة واضحة لممدوحه، ويوصلها إلى مخيلة المقابل. وقال يمدح الشيب(١٧):

بَكَرَتْ تُعَيِّرُني (نَوارُ) سَفاهَةً وَضحَ المَفارِقِ وَابيِضاضَ المِسحَلِ*

وَيكُم! بَياضُ الصُبحِ أَحسَنُ مَنظَراً في العَينِ مِن ظَلَماءِ لَيلٍ أَليَلِ

وَهَلِ اِسوِدادُ العُلوِ يَكمُلُ حُسنُهُ في الطِرفِ إِلّا بِابيِضاضِ الأَسفَلِ

وَالصارِمُ المَصقولُ أَحسَنُ حالَةً يَومَ الوَغى مِن صارِمٍ لَم يُصقَلِ

وَالشَمسُ لَولا ضَوءُها ما اِستُحسِنَت وَالبَدرُ لَولا نورُهُ لَم يَجمُلِ

نجد في هذا النص أن للّيل أثره في شحذ القرائح وتحريك الأخيلة للمبدعين كالبحتري فهو قد جعل من لفظة الليل أثرًا في تهيئة نفسه للإبداع، وجعل النص أكثر شفافية ودلالة لما أراد إيصاله إلى المتلقي. وما هذه المفارقة من المقارنة التي جاءت في النص الشعري إلا دلالة على الإبداع والتفوق اللغوي للشاعر، فهو يجعل بياض الصبح (الشيب) أكمل حسنًا ومنظرًا من سواد الليل (ليل اليل) مثل السيف المصقول يوم الوغى أفضل وأحسن من غير المصقول، إذ إن الشاعر استطاع أن يصوغ عباراته ويقدم صورًا معبرة اشترك فيها اللفظ وإيحاؤه، وظهرت فيها قدرته على جعل الليل كائن يرتبط بهمومه وتقدم الزمن به. فسواد العين لا يجمل إلا مع وجود البياض تحته فالذي جمله هو البياض وكذلك ضوء الشمس ونور البدر هما اللذان جملا الصورة. ونجد مثل ذلك في مدحه المعتز بالله(١٨):

عَهدٌ لِعَلوَةَ بِاللِوى قَد أَشكَلا ما كانَ أَحسَنُ مُبتَداهُ وَأَجمَلا!

أَنسى لَيالينا هُناكَ، وَقَد خَلا مِن لَهوِنا في ظِلِّها ما قَد خَلا؟

عَيشٌ غَريرٌ، لَو مَلَكتُ لِما مَضى رَدّاً، إِذاً لَرَدَدتُهُ مُستَقبَلاً

لاموا عَلى لَيلي الطَويلِ، وَكُلَّما عادوا بِلَومٍ كانَ لَيلي أَطوَلا

اِتبَع هَواكَ إِلى الحَبيبِ فَإِنَّهُ رَشَدٌ، وَخَلِّ لِعاذِلٍ أَن يَعذُلا!

وَاللهِ لا أَسلو، وَلَو جَهِدَ الَّذي يَلحى*، وَما عُذرُ المُحِبِّ إِذا سَلا!؟

يشكو الشاعر قلقه وحزنه وليله الطويل الذي يكابده، وأنه عند الملامة له يطول ليله أكثر، وهذا لون من ألوان الأسى الذي يتراءى بين طيات الظلام، فتظهر طيوف الأهل والخلان، وما هذه إلا علاقة قائمة بين الليل وما يعتاده ويكابده الإنسان، ويبدو أن خيال الشاعر مشدود إلى الليل لا يكاد يبارحه فالليل مرتعه وملهمه، يستمد منه أوهامه وهواجسه، ولا سيما مع حبيبته (علوة) التي لا ينسى الليالي التي جمعتهما في لهو ومسرة أظلمتها ولو استطاع (لرددته مستقبلاً) وقد كرر الشاعر ليل الحبيب الطويل (ليلي الطويل – ليلي اطولا) وذلك لشدة التفكير بالحبيبة ومتابعة هواها غير آبه بعذل مؤكد بالقسم (والله لا أسلو) عنها، وليس عذرٌ في ذلك، إذ استفهم إنكارياً متعجباً (وما عذر المحب إذا سلا) وشاعرنا البحتري يستحضر الليل هنا ليعبر عن الألم والاشتياق، وطول السُهد والتغزل والفقد والحنين. فقال يمدح أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام*[١٩]:

عَهدي بِرَبعِكَ مُثَّلاً آرامُهُ يُجلى بَضَوءِ خُدودِهِنَّ ظَلامُهُ

إِلمامَةً بِالدارِ! إِنَّ مُتَيَّماً يَكفيهِ أَكثَرَ شَوقِهِ إِلمامُهُ

أَمسى يُضَرِّمُ في جَوانِحِهِ الجَوى بَرقٌ يَشُبُّ مَعَ العَشِيِّ ضِرامُهُ

لَيلٌ يُصادِفُني وَمُرهَفَةَ الحَشا ضِدَّينِ، أَسهَرُهُ لَها وَتَنامُهُ

مَحجوبَةٌ فَإِذا بَدَت فَكَأَنَّها بَدرُ السَماءِ تَمامُهُ وَمُرامُهُ

ارتبط الليل بالحالة النفسية للشاعر، فقد عانى ثقل الهموم والأحزان التي عاناها، فليله كثيف الظلمة حالكٌ، يحوي أسراره ومآسيه، تتجلى فيه أفكار الغياب والفراق، وأحاديث الليل تهجس في روح الشاعر، وتظهر إحساسه بالواقع وتمثل موقفه من الحياة. فالشاعر ((يخيل إليه أن الليل قد أزمع ألا ينقضي، فكلما نزل الليل بساحة الشاعر ازداد إحساسه بتزايد الهموم وتكالبها عليه، فكان له –وهو يجسد خواطره ويبوح بمشاعره– أن يرمز إلى معاناة يعيشها بالتعبير عن طول الليل ومراعاته والسهر فيه، بأساليب بديعة وصور جميلة مزدانة بتشبيهات واستعارات وكنايات يغني بها المعنى المختلج في مكان من صدره وينمقه))[٢٠]. إذ نجد إن خياله قد استعان بالألفاظ الدالة على الليل ومكابدته (ظلامه، أمسى، العشي، ليلٌ، أسهره، تنام، بدر السماء، تمامه)، يعبر عنها عن مكنونات نفسه، فضلاً عمّا أبانه التضاد والمقابلة بين طرفين يظهر الحسن باجتماعهما (يُجلى بضوء خدودهن – ظلامه – برق يشب – مع العشي، ليلٌ – ومرهفة الحشا) ضدين وحالين هو في (أسهره – وتنامه) كلها تدل على حالهِ في مقدمته الغزلية رابطاً ذلك بالشوق إلى تلك الأوصاف.وقال يمدح المتوكل[٢١]:

بِـ (سُرَّ مَن را) لَنا إِمامٌ تَغرِفُ مِن بَحرِهِ البِحارُ

خَليفَةٌ يُرتَجى وَيُخشى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنارُ

كِلتا يَدَيهِ تَفيضُ سَحّاً كَأَنَّها ضَرَّةٌ تَغارُ

فَلَيسَ تَأتي اليَمينُ شَيئاً إِلّا أَتَت مِثلَها اليَسارُ

فَالمُلكُ فيهِ وَفي بَنيهِ ما بَقِيَ اللَيلُ وَالنَهارُ

الليل من آيات الله عز وجل، وهو ظاهرة من الظواهر الكونية، متعاقب مع النهار ما بقي الكون، فهو مستمر في دورة الفلك، ونجد أن الشاعر يقابل ويطابق كثيرًا بين الليل والنهار، ليعزز المفارقة بين السهر واللقاء أو الألم والفرح. ((فتناول اللفظ ودلالته، إذن يجب أن ينطلق من ربطه بالسياق الذي ورد فيه، لأن هذا اللفظ يأخذ هويته وخصوصيته منه ويتلون بلون الرؤى الشعرية التي تطبع هذا السياق))[٢٢]. فجاءت دلالة الليل مرتبطة بدلالة النهار، وكذلك ترتبط دلالة اليمين مع دلالة اليسار، فهذه السياقات المترابطة أتى بها الشاعر لتكتمل صفات ممدوحه الذي يرتجى ويخشى، فهو جنة ونار، إذا أنعمَ واذا عاقبَ، فالملك في أحفادِ ما دامت الدنيا وتعاقب (الليل والنهار) وهنا يتزلف إلى المتوكل لينال عطاءه. وقال البحتري في غلامه بعدما باعه[٢٣]:

قُل لِلجَنوبِ: إِذا غَدَوتِ فَأَبلِغي ... كَبِدي نَسيماً مِن جَنابِ (نَسيمِ)

أَخُدِعتُ عَنكَ وَأَنتَ بَدرٌ خادِعٌ ... لِلَّيلِ عَن ظُلَمٍ لَهُ وَغُيومِ

نجد أن الليل شديد الوطأة على الشاعر، فقد استوطنته المعاناة والهموم بفراق غلامه (نسيم) الذي يشبهه بالبدر في الليل في الظلماء الغائمة، إذ نجده يعقد مقارنة بين سواد الليل وعتمته مع سواده وعتمته بفراق الأصحاب، وهذه المعاناة النفسية كانت ضاغطة على تصوره ومشاعره عندما أحسّ بوطأتها عليه بعدما فقد نسيم بيعاً. وإذا أمعنا النظر من ناحية ثانية، نجد أن الشاعر يتخير لفظة الليل ليعطي بها مدلولاً آخر عن الضياع والخذلان والوحشة، وهذه مراحل متقدمة من شعر البحتري، فهو يستحضر الليل ليعبر عن مرور الوقت وفناء المتعة وهروب الزمن. ونجد الصورة التشبيهية للشاعر صورة تتسم بالقوة والبهاء في آن واحد، وتكشف الحس البصري الرفيع للشاعر (أَخُدِعتُ عَنكَ وَأَنتَ بَدرٌ خادِعٌ)، فجاءت الصورة عبارة عن ((تشكيل سحري لا يقدر عليه غير الفنان المبدع))[٢٤]. لعله يصل إلى قلب المقابل ويلامس مشاعره.ومثل ذلك ما كتبه إلى بعض إخوانه[٢٥]:

إِنَّ الكُؤوسَ بِها يَطيبُ المَجلِسُ ... فَعَلامَ تُحبَسُ أَم لِماذا تَحبِسُ؟!

قَد طابَ مُغتَبَقُ الزَمانِ وَنُشِّرَت ... حُلَلُ الرَبيعِ كَأَنَّهُنَّ السُندُسُ

وَتَوَقَّدَ النُوّارُ حَتّى أَنَّهُ ... لَيُخالُ أَنَّ النارَ مِنهُ تُقبَسُ

وَمُفاكِهٍ عَبِقُ الكَلامِ كَأَنَّما ... يُفضي إِلَيكَ بِلَفظِ فيهِ النَرجِسُ

رَكِبَت إِلَيكَ بَنانَهُ ذَهَبِيَّةٌ ... صَفراءُ تُمزَجُ بِالظَلامِ فَتَنبِسُ

بِكرٌ تَقَدَّمَتِ الزَمانَ بِغَرسِها ... إِن كانَ قَبلَ الدَهرِ شَيءٌ يُغرَسُ

وَمُنادِمينَ كَأَنَّهُم سُرُجُ الدُجى ... أَيمانُهُم بِنَوالِهِم تَتَبَجَّسُ

أَقمارُ لَيلٍ رُكِّبَت مِن تَحتِها ... أَبدانُ حورٍ أُسكِنَتها الأَنفُسُ

نجد الليل واضحًا في خيال الشعر، فهو مظهر من المظاهر الفنية والنفسية في الربط المستمر بينه وبين الحالة الاجتماعية والشعورية للشاعر، فهنا استخدم الشاعر لفظة الليل ليجعل من المُرسل إليه قمة من الجمال والعطاء والمقدار العالي، فهم (سُرُج الدُجى) (أقمار ليلٍ) فما هذه الاختيارات اللفظية إلا دليل على انشراح صدره وفرحه بأصحابه ومحاولة التقرب إليهم، وما هذه الصورة التشبيهية ((إلا لوحة تجسيمية لما يقوم به الشاعر من تصوير لمشاعره وأحاسيسه عبر خلجات نفسه، يبثها في أرجاء قصيدته تبعًا لتجربته ومعاناته الإنسانية وقدرته على مزاوجة الواقع والخيال وصبهما في صورة حية وضاءة))[٢٦] فكانت المطابقة بين الواقع والتجربة الشعرية للشاعر واضحة في مفرداته وألفاظه، وهذا ما جعل النص ذا قيمة فنية عالية، وهنا أعطى قيمة للخمرة بلونها الأصفر فإنها عندما تمتزج في الظلام تشع ضوءً (صفراء تمزج بالظلام) ويستعملها المنادمون في شرابهم وشبههم بالسرج والضوء فقال (سرج الدجى) وكأن الكؤوس في أيديهم (أقمار ليلٍ) صورة جميلة راقية تحتها رسمت (أبدان حور) تسكن بها النفوس.

ونجد في قوله قيمة فنية أخرى، إذ يقول[٢٧]:

وَأَثافٍ أَتَت لَها حِجَجٌ دو ... نَ لَظى النارِ مُثَّلَ كَالأَثافي

قَمَرٌ في دُجُنَّةِ اللَيلِ يوفي أَم خَيالٌ مِن عِندِ سُعدى يُوافي

يقارن البحتري بين (قمر في دجنة الليل) (خيال من عند سعدى)، ليجعل من الليل زمنًا لاختلاط الذكرى، وهو ما يجعل التجربة الشعرية أكثر عمقًا وصدقًا، وقدم لهذه الصورة بصورة قاتمة مثلها بصورة (الأثافي) السوداء التي مرت عليها النون وتركت على حالها من دون نار تشعل. ونظرًا لسواد الليل وتعذر الرؤية فيه، يراه الشاعر مخبأً للأسرار وسترًا للهموم وليل العشاق يتم بالطول والسهر، وعدّ النجوم علّ طيفٌ وخيالٌ يأتي من محبوبته، ونجد أن البحتري قد أطبقت الهموم والأحزان على صدره، وذلك لبعد المحبوبة عنه، فراحت الأحزان تتغلغل في ثنايا نفسه وتستوطنها وهذا ما جعل ليله يطول لمعاناته الهموم ومقاساته الأحزان، فيكون ليله شديد الوطأة عليه. ونجد مثل ذلك الشعور بثقل الليل عليه في مدح الخليفة المستعين بالله[٢٨]:

إذْ ضارَعَ البدرَ في حُسْنٍ وفي صِفةٍ وطالعَ البدرَ في وقتٍ ومقدارِ

ليلٌ تَقَضّى وما أدركتُ مَأْرُبتي من اللقاءِ، ولا قضّيْتُ أوطاري

يتحسر الشاعر على قضاء الليل وانجلائه وهو لم يقض مآربهُ وغاياته مع حبيب (ضارع البدر) وعندما (طالع البدر) في وقته (تقضى ليله) بعد، فالليل مرفأ هانئ، ينطوي الفرد تحت جناحهِ لينضم أشلاء أفكاره التي بعثرها النهار وينهي رحلة العذاب اليومي التي بثت القلق والفزع في نفسه، وشاعرنا البحتري يتمنى لو يطول ليله ليكتمل اللقاء وينهي شكواه ويضمد جراحه، فالليل قد اتسم بقصره في هذا النص، وذلك دليل الفرح والسعادة، إذ إن الشاعر لم يدرك مرور الوقت وتفاجأ بحلول الصباح. أما في مدح الفتح بن خاقان[٢٩]:

أَنتَ نَعيمي وَأَنتَ بُؤسي وَقَد يَسوءُ الَّذي يَسُرُّ

تَذكُرُ كَم لَيلَةٍ لَهَونا في ظِلِّها وَالزَمانُ نَضرُ

غابَ دُجاها وَأَيُّ لَيلٍ يَدجو عَلَينا وَأَنتَ بَدرُ

هنا يختلط المدح مع الحنين والشوق لأيام الصبّا، فشاعرنا البحتري يعود إلى الليل، ليشارك معه أحلى لحظات الفرح والسرور مع الأصدقاء وتبادل الأحاديث والسمر، فقد ربط الشاعر بين الليل والذات الشاعرة والأحاسيس في حلقات زمنية بعيدة تحسب من العمر فلا تعود مرة أخرى.ثم ينتقل بنا إلى ليلٍ آخر وصورة أخرى، ويجعل من الممدوح بدرًا في ظلمة الليل ليمحو ذلك الظلام والدجى بوجه الممدوح ويكسب رضاه ويدنو منه، ونجد أن الشاعر وظف الألفاظ والتراكيب السهلة في خدمة هذا النص ودلالة الليل فيه ودلالة المحبة والألفة (أَنتَ نَعيمي) (أَنتَ بُؤسي) (أنت بدرٌ)، فالشاعر ((إذا أراد بناء قصيدة، مخض المعنى الذي يريد بناء شعره عليه في فكره، وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه))[٣٠] على وفق ما يقتضيه الحال والشعور واللوحة الفنية التي يريد الشاعر أن يرسمها وينقلها إلى المقابل، إذ رسم صورة الممدوح مشبهاً له بالبدر فلا يعجب من غياب دجى ليله مع وجود ذلك البدر، وهنا يقلب الشاعر صور البدر والظلام ويرسمها ويلونها جاعلاً من التضاد والطباق لوحة السواد الذي يكشف البياض ويجليه ومن قوله في المدح أيضًا[٣١]:

هَزيعُ دُجاً في الرَأسِ بادَرَهُ [بَدرُ] وَلَيلٌ جَلاهُ لا صَباحٌ وَلا فَجرُ

وَلِمَّةُ مُشتاقٍ أَلَمَّ مَشيبُها عَلى حينِ لَم يودِ الشَبابُ وَلا العُمرُ

كُتب على الإنسان أن يعيش في كبدٍ ومعاناة من الشباب إلى المشيب، وقد جاءت أبيات الشاعر وفق هذا المنطلق، فقد غزا الصباح والفجر دجى الليل، كما يكون حال الإنسان فيغزو الشيب الرأس ويبادره ويكون على حين غفلة من العمر، والشاعر ((إذ يندمج مع الأشياء يضفي عليها مشاعره، وقد قيل: إن الفنان يُلّون الأشياءَ بدمهِ... فعالم الأفكار –وهو بطبيعته غير واقعي– يحاولُ أن يُصبَحَ واقعيًا بمعانقته للأشياء والبروز من خلالها))[٣٢]. فقد أضفى الشاعر مشاعره وأحاسيسه على هذا النص العاطفي الذي بين حال الإنسان وواقعه، فجعل من التشبيه البليغ والمحسنات اللفظية عالمًا واقعيًا محسوسًا مثلما كابده الإنسان وعاشه وهنا نجد عمقًا إضافيًا في تجربة الشعر، إذ إن الليل لم يعد مكانًا للسهر فحسب، بل أصبح رمزًا للتيه، وللحيرة، ولغموض المصير .وكذلك في قوله[٣٣]:

أرى حُبَّ ليلى لا يبيدُ فينقَضي ولا تلتوي أسبابهُ فَتَحَلّلُ

مُغَنًّى به الصَبُّ الشجيُّ المعذِّلُ عليه، وذو الحُبِّ المُعنّى المُعذّلُ

ستأخذُ أيدي العِيسَ منه إذا انتَحَى بأشخاصِها جِنْحٌ من الليل ألْيَلُ

يبدو في هذا النص كشف أعماق الشاعر على حقيقتها المتصدعة من جوى الحب، فالشاعر يبدأ بمقدمةٍ غزلية في حب (ليلى)، فهو (المعنّى المعذّل)، ليصف الليل بـ(أليلُ) دليلاً على سواده وحلكته، مضمخًا بأصباغ الليل القاتمة. فخيال الشاعر مشدود إلى الليل، لا يكاد يبارحه، فالليل ملهمه يجعل منه إطارًا يضع بداخله ما يشاكله من الموضوعات المتمثلة بالقسوة والوحشة، لأن الليل أكثر جهامة وأمضى في نفوس المستمعين فهو ميدان للمحبين وساعة للأنين والبوح، خصوصًا حين يترافق مع السهد والحرمان. ومما قاله مادحًا المتوكل[٣٤]:

أَبى اللَيلُ إلّا أَن يَعودَ بِطولِهِ عَلى عاشِقٍ نَزرِ المَنامِ قَليلِهِ

إِذا ما نَهاهُ العاذِلونَ تَتابَعَت لَهُ أَدمُعٌ لا تَرعَوي لِعَذولِهِ

لَعَلَّ اِقتِرابَ الدارِ يَثني دُموعَهُ فَيُقلِعَ أَو يَشفي جَوىً مِن غَليلِهِ

_____ _____

يَظَلُّ الحَمامُ الوُرقُ في جَنَباتِهِ يُذَكِّرُنا أَحبابَنا بِهَديلِهِ

تظهر ملامح الحزن واللوعة على مقدمة الشاعر، فالليل يأبى أن ينقضي، وقد شكل حالٌ من السهر وقلة من الراحة، وما ابتعاد المحبوب وعدم رؤيته إلا سببٌ في ذلك الحزن والسهر وطول الليل، إذ اتسم عالم الشاعر اللّيلي بالطول، لأن تجربته في الحياة مليئة بالقسوة والمشاق والصعاب، فإذا جنّ الليل، سارت إليه قلوب العارفين وحنّت الأرواح إلى اللقاء. ثم يأتي التركيب الثاني في ختام قصيدة الشاعر، ليعود قائلاً إنه لا يمكن أن ينسى أحبابه وأصدقاءه ما بقي هديل (الحمام الورق) على الأفنان، وفي ذلك ظهرت قسوة الليل الذي هيّج أحزانه وجدد اشتياقه.ومما قاله مادحًا[٣٥]:

تَلْقاه يقطُرُ سيفُهُ وسِنانُه وبنانُ راحتِهِ ندىً ونَجيعا

متنصتاً لصدى الصريخ إلى الوغى ليُجيبَ صوتَ الصّارخِ المسمُوعا

ولقد يبيتُ الليل ما يَلْقى له إلّا الحُسامَ المشرِفيّ ضجيعا

متيقِّضاً كالأفعوانِ نفى الكَرَى عن ناظَرَيْهِ فما يذوقُ هُجُوعا

واضح من خلال هذه الأبيات أن خيال الشاعر مشدود إلى الليل، لا يكاد يبارحه، فقد اختار من صورة الليل عنوانًا لنصهِ، وإضافة الصفات الخالدة لممدوحه، الشجاعة (يقطر سيفه) والكرم (وبنان راحته ندى ونجيعا) فهو الذي يبيتُ ليله حاملاً سيفه، ومتوسده (الحسام المشرفي ضجيعا)، وهذه صفات الشجعان المتيقظين إلى العلا وشرف المجد، فهم لا يذوقون النوم ولا يستسلمون للأعداء، وهنا جاءت لفظة الليل إيجابية مليئة بالشعور بالفخر بالممدوح، ونصرته للمستضعفين، فكان الليل وعاءً للتضحية والفداء والعز والكرامة، وهذا ما زاد صورة المدح جمالاً وعذوبة وزاد من القيمة الفنية للنص.ومن قوله في وصف إيوان كسرى[٣٦]:

مِنْ مُدام تَظُنُّها وهي نجمٌ ضَوَّأَ الليلَ أو مُجاجَةُ شمسِ

وتراها إذا أجَدّتْ سُروراً وارتياحاً للشاربِ المُتَحَسي

أُفرِغَتْ في الزجاجِ من كل قَلْبٍ فهي محبوبَةٌ إلى كل نفسِ

نجد في هذا الوصف الجميل لكأس الشراب الجانب الإيجابي لليل وما يحتويه من أنجم وجمال عملت الفقاعات التي تشبه النجوم حركة في لمعانها واشراقها إذ (ضوّا الليل) فارتبط لونه بشعاع الشمس، إذ إن الشاعر يشبه الخمرة في الكؤوس وكأنها نجوم في السماء تضيء، وهذه الصفة إلايجابية لليل تقودنا إلى إدراك حالة الشاعر الشعورية وما يحس به من راحة نفسية في التصوير الدقيق لهذا المجلس. وقد شكل الليل في هذا النص بعداً جماليًا من خلال (نجمٌ ضَوَّأَ الليلَ)، فالليل في شعر البحتري ليس مجرد وقت من الزمن، بل رمز شعري عميق يتقاطع مع موضوعات الحزن

والسهر والعشق والطبيعة، فهو يسبغ على القصيدة جوًا نفسيًا وجماليًا يعكس غنى التجربة الشعرية لدى البحتري.وقال يمدح أبا مسلم بن حُميد الطائي[٣٧]:

أبا مُسلمٍ! إنْ كانَ عِرضُكَ سالماً ... فمالُكَ مِنْ جَدْواكَ ليسَ بسالمِ

إذا ارتدَّ يومُ الحربِ ليلاً رَدَدْتَهُ ... نهاراً بلألاءِ السيوفِ الصوارمِ

وإنْ غَلَتِ الأرواحُ أرخصْتَ سوْمَها ... هُنالِكَ في سوقٍ من الموتِ قائمِ

نجد البحتري بهذه التراكيب الإضافية التي يُستعان فيها بالليل وعناصره يعمل على زيادة تأثير النص في المتلقي، فهو يخاطب ممدوحه (أبا مسلم) ويدعو له بسلامة العرض والشرف والكرم (سالماً ليس بسالم) إذ حقق الجناس المنفي قيمة اجتماعية دلت على الشرف والكرم والعنفوان والمجد، لينقلنا بعدها في البيت الثاني إلى صورة جميلة تصور (يوم الحرب) الذي صار (ليلاً) قاتماً لثقله وشدته إذ استطاع ان يحول تلك الصورة القاتمة المرعبة إلى نهار (لألاء السيوف الصوارم) لشدة لمعانها وقوتها وهي تهوي على هامات الأعداء، وكيف يتحول ليله نهارًا من خلال تلاحم السيوف.

وفي استخدام لفظة (لألاء) للسيوف صورة حيّة معبرة في إبراز معنى الشجاعة وما يريد إيصاله إلى المتلقي وفق تشكيل لغوي منحه خيال الشاعر من معطيات يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فهذه الصورة مستمدة منه إلى جانب قيمتها البلاغية التي أعطت المشهد الخارجي دوره الفعال.

وتظهر القيمة البلاغية كذلك في مدح المتوكل[٣٨]:

قُلْ لِلسَّحَابِ إِذَا حَدَتْهُ الشَّمْأَلُ ... وَسَرَى بِلَيْلٍ رَكْبُهُ الْمُتَحَمِّلُ

عَرِّجْ عَلَى (حَلَبٍ) فَحَيِّ مَحَلَّةً ... مَأْنُوسَةً فِيهَا لِعِلْوَةَ مَنْزِلُ!

لِغَرِيزَةٍ أَدْنُو وَتَبْعُدُ فِي الْهَوَى ... وَأَجُودُ بِالْوُدِّ الْمَصُونِ وَتَبْخَلُ

وَعَلِيلَةَ الْأَلْحَاظِ نَاعِمَةِ الصِّبَا ... غِرِى الْوُشَاةُ بِهَا وَلَجَّ الْعُذَّلُ

يعود الشاعر إلى الحنين والاشتياق في الكثير من قصائده، وغالباً ما يبتدئ بالمقدمات الغزلية، فهو هنا يحمل السحاب سلامه وشوقه إلى (حلب) عندما يسري الركب ليلاً، إذ إن الشاعر اختار ذكر الرحيل (ليلاً) لأنه ليس كالرحيل نهارًا، فهو أشد وقعًا على النفس وتأثيرًا في المقابل المتأثر بذلك شعورًا وعاطفة، الذي أخذ منه الحنين والاشتياق مأخذًا واضحًا.ثم يكثر من الأفعال ليعزز الحركة والتحول في موقف المحبوبة (أدنو – تبعد) (أجود –تبخل) (غري – لج) فهذا دليل على الصد والهجران من المقابل، بالرغم من اللهفة والمحبة من قبل الشاعر. أما الجملة الاسمية (عليلة الألحاظ) (ناعمة الصبا) فلها شأن آخر في إظهار صفات المحبوبة وتدفق تجربة الشاعر الشعورية والإحساس الثقيل وإدخاله الليل في دائرة الخطاب من خلال الذات التي تتعامل مع الليل من خلال الإحساس المثقل بالهموم.وقال[٣٩]:

أَهلَكَ وَاللَيلَ أَيُّها الرَجُلُ! ... قَد طالَ هَذا الرَجاءُ وَالأَمَلُ

عَوِّل عَلى الصَبرِ، وَاتَّخِذ سَبَباً ... إِلى اللَيالي فَإِنَّها دُوَلُ!

ما أَبعَدَ المَكرُماتِ عَن رَجُلٍ ... عَلى سُؤالِ الرِجالِ يَتَّكِلُ

يبدأ الشاعر بخطابه لرجل لم يصرح باسمه وقد يكون الشاعر نفسه متعجباً من طول الليل على من شفّه السهر، إذ ليس له مهربٌ وملجئٌ إلى سواه، فهو المتوتر المتعب المعنّى الذي ألقى عليه الليل ظلالاً من الاكتئاب والحزن المصاحب له (أهلك والليل)، وكأن هذا الحزن موجود داخل النفس وما ان حلّ الليل حتى تكالبت عليه أوجاعه وآلامه، فـ ((الليل يشكّل حاضر الشاعر))[٤٠]، يضعف فيه الإنسان وتشتد مشاعره، ولا سيما عند غياب الحبيب أو فراق الأهل، فيكون الليل زمنًا لاختلاط الذكرى بالشعور ومنفذاً لبث الشكوى والحنين.وقال يمدح أبا بكر المعروف بجرادة الكاتب*[٤١]:

لَيلٌ بِذي الأَثلِ عَنّاني تَطاوُلُهُ ... أَرى بِهِ مُقبِلاً قِرناً أُنازِلُهُ

وَقَد أَبيتُ – وَفي باعِ الدُجى قِصَرٌ – ... بِزائِرٍ قَرُبَت أُنساً مَخائِلُهُ

إذ لا وَسيلَةَ لِلواشي يَمُتُّ بِها ... مَعَ الصِبا وَهوَ غَضّاتٌ وَسائِلُهُ

أَواخِرُ العَيشِ أَخبارٌ مُكَرَّرَةٌ ... وَأَقرَبُ العَيشِ مِن لَهوٍ أَوائِلُهُ

يَفنى الشَبابُ إِذا ما تَمَّ تَكمِلَةً؛ ... وَالشَيءُ يَرجِعُهُ نَقصاً تَكامُلُهُ

وَيُعقِبُ المَرءَ بُرءًا مِن صَبابَتِهِ ... تَجَرُّمُ العامِ يَأتي ثُمَّ قابِلُهُ

يستهل الشاعر قصيدته بلفظة الليل، ونجد أنه يكثر من ذلك في مقدمة قصائده في الطبيعة وما هذا الاستهلال إلا تلميحًا بالظروف التي يمر بها الشاعر، ((وأن الشاعر غالبًا ما يبادر في مطلع القصيدة بمناجاة الليل أو بسط ردائه الأسود مهيئاً هذا الإطار، فإن لم يكن الليل إطارًا يضع الشاعر فيه رؤيته، فإن استهلال القصيدة به قد يكون ملائمًا للحديث عن حالات شعورية معينة كاليأس والملل والانقباض والغربة))[٤٢]. وما هذه المناجاة والحديث الطويل والتفصيلات على مدار النص إلا إطارٌ صنع فيه الشاعر صورة فنية متلاحمة الأطراف تتحدث عن الشباب والشيب واليأس والأمل والوشاة والحب والصبابة، وهذا كله ما يدور في ذهن الشاعر ليلاً.وقال مادحًا[٤٣]:

عاوَدَ القَلبَ بَثُّهُ وَخَبالُه ... لِخَليطٍ زُمَّت بِلَيلٍ جِمالُه

وَسَقيمٍ يُخشى بَلاهُ، وَلا يُر ... جى مِنَ السُقمِ وَالبِلى إِبلالُه

يسأَلُ الرَبعَ قَد تَعَفَّت رُباهُ ... وَخَلَت مِن أَنيسِهِ أَطلالُه

عانى الشاعر من قدوم الليل، فالقلب يعاود اعتلاله وحزنه، إذ إن ((لليل بعداً نفسيًا أعمقُ مما للنهار في صدور الناس على اختلاف إدراكهم ودرجات إحساسهم))[٤٤]. فبمجرد أن يتجلى الليل بسواده، تتحرك العواطف وينشط الخيال، والتذكر لحبيبته الراحلة (لخليطٍ زمت بليل جماله)، وها هو البحتري يحاول النفاذ إلى أعماق الليل وسبر أغواره واستجلاء مكنوناته، فلا سقيم فيه يرجى شفاؤه، ولا مسافر يرجى عودته بعد غيابه، فقد خلت الأطلال من الربع والأنيس والخلان.ومما قال مادحًا[٤٥]:

تَنَاءَتْ دَارُ عَلْوَةَ، بَعْدَ قُرْبٍ ... فَهَلْ رَكْبٌ يُبَلِّغُهَا السّلاما؟

وَجَدّدَ طَيْفُهَا لَوْماً وَعَتْباً ... فَمَا يَعْتَادُنا إلاّ لِمَامَا!

وَرُبّتَ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ أُسْقَى ... بِعَيْنَيْها وَكَفّيْهَا المُدَامَا

قَطَعْنَا اللّيْلَ لَثْماً واعْتِنَاقاً ... وأَفْنَيْنَاهُ ضَمّاً والتِزَامَا

وَقَدْ عَلِمَتْ بِأَنّي لَمْ أُضَيّعْ ... لَهَا عَهْداً، وَلَم أَخفِرْ ذِمَامَا

سكب الشاعر هموم قلبه وآهاته وشوقه وحتى أنفاسه في طيات ليلٍ متلاطم لا ينقضي، ففي هذه المقدمة الغزلية التي جاءت نشيدًا خالدًا يحمل عبق الذكريات والحب لـ(علوة)، يتخير الشاعر لفظة (الليل) مرتين ليطلعنا على خفايا روحه المستيقظة التي لا تعرف للنوم طعمًا، ولا للراحة طريقًا. ونرى أن الشاعر يهرع لليل ليبث لواعجه ومكنون نفسه، فقد جاءت ألفاظه نابعة من العاطفة والبعد النفسي، وخلق صورة موحية عن الليل وما بات عليه الشاعر استمتاع ولذة مع الحبيبة فـ ((جمال الصورة يتوقف عادةً على عناصر كثيرة، منها حرارة العاطفة، وقوة الانفعال، وقدر كافٍ من الخيال الذي يجسد الصورة ويبرزها إبرازًا كافيًا وقدرة على توفير الوسائل الفنية كاللون والحركة واللفظة المؤدية الموحية، والكلمة الظليلة، وغيرها من العناصر التي لا قبل لشاعر بها إلا من امتلك ناصية الفن))[٤٦]. وقد طوّع الشاعر لفظة الليل لمبتغاه وما ترومه نفسه، وهو متمسك فلا يضيع لها عهداً ولا يخفر ذماما. وقال يمدح محمد بن حُمَيد*[٤٧]:

هَذا الحَبيبُ فَمَرحَباً بِخَيالِهِ! ... أَنّى اِهتَدى وَاللَيلُ في سِربالِهِ؟!

بَل كَيفَ زارَ وَدونَهُ مَجهولَةٌ ... مِن سَبسَبٍ قَفرٍ تَمورُ بِآلِهِ؟!

_____ _____

في مقدمة غزلية، يشحن الشاعر طاقاته بالصور التشبيهية التي يعيشها، فتأتي صورة الليل تحمل عمقًا نفسيًا وجماليًا في آن واحد. ويجيء تخييل طول الليل وعدم مغيب نجومه نتيجة معاناة الشاعر من الحب الذي حرك عواطفه أو هيّج لواعجه، وربما يتمثل بحزن أثقل كاهله، حيث يبيت ليله يكابد همومهم ويقاسي آلامه[٤٨]. وهذا إن دلّ فإنه يدل على ما مرّ به الشاعر من محنة وضيق جراء بعد الحبيب، إذ إنه أصبح يرى خيالاً منه وطيفًا عابرًا يزوره من حين لآخر. ومن قوله مادحًا[٤٩]:

ما في الخِلافةِ من وَهْيٍ فَيَجبِرَه — آسٍ، ولا في قناةِ المُلكِ من أوَدِ

ولا الكواكبُ في ليلِ الربيعِ تَلَتْ — غَيْثاً بأبْهَجَ من أيّامِكَ الجُدُد

في هذه الصورة المدحية نرى الشاعر يستثمر ألفاظه في بيان مقدرته الشعرية العالية، ويستنتج القيم الداخلية والخارجية للألفاظ، ونجد ذلك في استعماله لفظة (الليل)، إذ ((يتجلى فن الشاعر في تحرير هذه القيم، وتسهيل هذه التبادلات، وذلك بوضع الكلمة موضعاً دلاليًا يسمح لها بالتوسع إلى أقصى حد، كما يسمح بإعلاء محدود معناها اللفظي وشروطه))[٥٠]. فقد تعددت لفظة الليل معناها الحقيقي، إذ إن الشاعر استطاع أن يجعل المتلقي يتدبر (ليل الربيع) وما يحمل من معانٍ ودلالات إضافية، وأن يرسم في مخيلته صورًا متعددة لهذا المنظر البهيج.وقال يرثي المتوكل[٥١]:

صَريعٌ تَقاضاهُ السُيوفُ حُشاشَةً — يَجودُ بِها وَالمَوتُ حُمرٌ أَظافِرُه

أُدافِعُ عَنهُ بِاليَدَينِ وَلَم يَكُن — لِيَثني الأَعادي أَعزَلُ اللَيلِ حاسِرُه

وَلَو كانَ سَيفي ساعَةَ القَتلِ في يَدي — دَرى القاتِلُ العَجلانُ كَيفَ أُساوِرُه

الشاعر هنا يعتمد اعتمادًا تامًا على رسم صورته الموحية في رثاء المتوكل بخلط مجموعة من الصور المتظافرة فيما بينها لتعطي للمتوكل الصورة اللائقة به، وقد جعل الشاعر من الليل وعاءً لهذا الحدث العظيم، فالليل يحقق للمبدع المساحة الكافية من التكثيف الشعوري أو التصعيد الدرامي للحدث، فالليل يعطي الرهبة والوحشة، ويلقي بردائه على الأمر ويجعله جللاً عظيمًا. مما عزز من قيمة النص الفنية القافية المدوية التي انفجرت بالعزاء الواضح لموت الخليفة مع اتخاذ الشاعر ساحة الليل وشاحًا للحدث الأليم، فرهبة الليل والخوف من ظلمته ولا سيما إذا اقترن بالدم القاتم في صورة مرعبة والشاعر أعزل لا يملك سلاحاً (أعزل الليل حاسره).ومن قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان[٥٢]:

وَإِن لَم يَكُن في عاجِلِ الدَهرِ مِنهُمُ — نَوالٌ وَغَيبٌ مِن زَمانِكَ آجِلُه

مَضى العامُ بِالهِجرانِ مِنهُم وَبِالنَوى — فَهَل مُقبِلٌ بِالقُربِ وَالوَصلِ قابِلُه؟

أُرَجِّمُ في (لَيلي) الظُنونَ وَأَرتَجي — أَواخِرَ حُبٍّ أَخلَفَتني أَوائِلُه

وَلَيلَةَ هَوَّمنا* عَلى العيسِ أَرسَلَت — بِطَيفِ خَيالٍ يُشبِهُ الحَقَّ باطِلُه

فَلَولا بَياضُ الصُبحِ طالَ تَشَبُّثي — بِعَطفِيَ غَزالٍ بِتُّ وَهناً* أُغازِلُه

وَكَم مِن يَدٍ لِلَّيلِ عِندي حَميدَةٍ — وَلِلصُبحُ مِن خَطبٍ تُذَمُّ غَوائِلُه

يتحدث الشاعر في هذا المقطع عن انجلاء الليل وقدوم أطياف الصباح (فلولا بياض الصبح) التي كشفت عن قيمة الليل وثقله وأوهامه وآلامه، وهكذا هو حال شاعرنا الذي يأمل أن تتحول حاله من الضيق والحزن إلى الفرج واليسر، إذ يقول (مضى العام بالهجران)، ثم يعرج على الإقبال والقرب (فهل مقبل بالقرب...) لتنتهي الأحزان والأطياف المؤلمة وتتحول إلى أطياف تجد النور والسرور بقدوم الصباح، فالليل مرآة نفسية للشاعر ومجالاً للتجليات والحزن والوجد والتأمل، بل والمواقف البطولية أحيانًا.وقد وردت لفظة الليل في هذا النص عدة مرات (ليلي، ليلى، لليل) ولفظته (بتُّ) التي تدل على المبيت ليلاً، كل هذه المفردات التي عززت من القيمة الفنية للنص وأدت الغرض الذي أراده الشاعر في مدح الفتح بن خاقان. وكذلك قوله في مدح الفتح[٥٣]:

سُقيتِ الغَوادي مِن طُلولٍ وَأَربُعِ! — وَحُيِّيتِ مِن دارٍ لِأَسماءَ بَلقَعِ

وَإِن كُنتُ لا مَوعودُ (أَسماءَ) راجِعي — بِنُجحٍ وَلا تَسويفُ أَسماءَ مُقنِعي

وَلا نافِعي سَكبُ الدُموعِ الَّتي جَرَت — لَدَيها، وَلا فَرطُ الحَنينِ المُرَجَّعِ

فَلا وَصلَ إِلّا أَن يُطيفَ خَيالُها — بِنا تَحتَ جُؤشوشٍ* مِنَ اللَيلِ أَسفَعِ*

أَلَمَّت بِنا بَعدَ الهُدُوِّ فَسامَحَت — بِوَصلٍ مَتى نَطلُبهُ في الجِدِّ تَمنَعِ

وَما بَرَحَت حَتّى مَضى اللَيلُ فَانقَضى — وَأَعجَلَها داعي الصَباحِ المُلَمَّعِ

ترتبط صورة الليل القاسية بقسوة الحياة، فتظهر تجربة الشاعر الشعرية في إظهار ما يواجهه من قسوة الحياة في ترجمة وجدانه وأحاسيسه ومحاكاة الليل الطويل المظلم، (جُؤشوشٍ مِنَ اللَيلِ أَسفَعِ)، فالليل عند البحتري يعد من الصور الشعرية الغنية التي تتكرر بأبعاد متعددة، فغالباً يأتي الليل عنده زمنًا للتأمل والحزن أو وعاءً للشكوى أو مناسبة للبوح بالحب والألم والشوق.وتتعمق بنية النص في البيت الأخير ليعود الشاعر لمحاكاة الليل، إذ بدأ يتحقق وصله ويتمتع به في ليله الذي رآه قصيراً بأن بادره الصباح على عجل وهكذا هو حال الليل والنهار، فمهما كانا متعاقبين، ينقضي أحدهما على حساب الآخر وما معه من أوجاع وأحزان.

الخاتمة

– الليل معطى من معطيات الطبيعة وخلق من خلق الله عز وجل، وموضوعًا من الموضوعات الشعرية الجميلة التي يعبر بها الشاعر عن تجاربه الشعورية وما يختلج في نفسه من إنفعالات.

– جاءت لفظة (الليل) أحيانًا دالة على السهر والأرق والانتظار لوقت الصباح والخلاص من الحاضر وهمومه، وتقترن بعض الألفاظ بلفظ الليل في كثير من نصوص الشاعر، منها الأرق والحزن والدموع والوحشة والهموم والذكريات والانتظار والهروب من الواقع.

– استعمل الشاعر لفظة الليل بكثرة في شعره، وإن دلّت على معطيات كثيرة، سواء أكانت ظرف زمانٍ أو صرخة من صرخات نفسية أو شكاية عن حالٍ معين، وأحيانًا دلت على الهدوء والطمأنينة والاستمتاع وقصر الليل وجماله ولا سيما عند اقترانه بالبياض والضوء واللمعان.

– ظهرت ألفاظ كثيرة مرادفة للفظة (الليل) في ديوان الشاعر، منها (الدهر، الدجى، الظلام، الحندس) ولكننا لم نتطرق إليها واكتفينا بلفظة الليل ومدلولاتها في سياق النص الشعري.

– كثيراً من مفردات الليل دلت على طوله ومنظره المهيب وثقله وما يحمله من الهموم والقتامة، فأحيانًا هو مصدر للخوف والقلق والذكريات والحنين والألم، فضلاً عن أن بعض مفردات الليل في ديوان البحتري دلّت على الانتصارات من خلال ضوء السيوف اللامعات.

– من دلالات الليل ومعانيه في شعر البحتري، كونه صديقًا يناجيه الشاعر وكأن ظله، وأحيانًا عدوًا يحاول الهرب منه.

– استطاع البحتري أن يجعل من الليل أكثر من مجرد خلفية زمنية لأحداث شعره، إذ جعله أداة فنية وأداة شعورية إذ تنوعت صور الليل عنده بحسب السياق، فكان حزينًا في الغزل، فخمًا عميقًا في التأمل، ولذلك جاءت نصوصه بأسلوب صافٍ يجمع بين عذوبة الألفاظ وقوة التصوير، فكان الليل في شعره كائنًا حيًا ينبض بالحس والشكل والمعنى، وهو ما يجعل تجربته فريدة ومتفردة بين شعراء العصر العباسي.

– لم يكن الليل عند الشاعر مجرد زمن السهر أو الغزل، أو الهموم والأحزان، بل كان مجالاً فنيًا متكاملاً تتحرك فيه الصور وتتماوج فيه الرموز.

الهوامش والمصادر

(١) حسن كامل الصيرفي، ديوان البحتري، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٠٢/٣.

(٢) دكتور جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٣: ٣٤٩.

(٣) ديوان البحتري: ١٠٧٤/٢.

(٤) (م.ن): ٧٠٩/٢.

(٥) تجليات الليل في شعر احمد عبد المعطي حجازي، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، ايران: ٦

(٦) ديوان البحتري ٦٧١/٢.

(٧) (م.ن): ٩٣٨/٢

[٨] (م.ن): ٢/٨٦٦-٨٦٧.

* الأسداف: الظلمات، والأسداف: الأضواء، وهو من الأضداد. ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الافريقي (ت٧١١هـ)، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت، (٩/١٤٦-١٤٨).

[٩] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م: ١٥٠.

* الفتح بن خاقان بن احمد بن غرطوج، كان أبوه خاقان معظماً عند المعتصم، ضم المعتصم الفتح إلى ابنه المتوكل فنشآ معاً، فلما تخلف المتوكل استوزره، ... وقد تنزل من المتوكل بمنزلة الروح من الجسد.. وكان أديباً فاضلاً، ينظر: حاشية الديوان: ١/١٤٩.

[١٠] ديوان البحتري: ٣/١٩٢٨

[١١] تجليات الليل في شعر احمد عبدالمعطي حجازي: ٢.

[١٢] ديوان البحتري: ٣/١٣٦٥.

* الظُّبا: جمع الظُّبَة وهي حد السيف والنصل والخنجر: لسان العرب: ٢٢٨٥.

* الكماة: جمع الكميّ وهو الشجاع أو لابس السلاح. ينظر: لسان العرب: ١٥/٢٣١-٢٣٢.

[١٣] د.عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب: ٧٢.

[١٤] ديوان البحتري: ٢/١١٢٦.

* أبو صالح الكاتب المروزي عبدالله بن محمد بن يزداد بن سويد، ولي الوزارة للمستعين بعد قتل آتامش وزيره، ... كان أديباً فاضلاً جواداً ممدحاً.. هامش الديوان: ١/٢٨٢.

[١٥] ديوان البحتري: ٣/٢٠٣٠.

[١٦] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ط٢، دار المعارف بمصر: ١٤٩.

[١٧] ديوان البحتري: ٣/١٦٨١.

* المسحل: جانب اللحية.

[١٨] ديوان البحتري: ٣/١٦٥١.

* يلحى: يلوم. ينظر: لسان العرب: ١٥/٢٤٢-٢٤٣.

* أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام كان عاملاً على الشام. ينظر: هامش الديوان: ١/١٣٤.

[١٩] ديوان البحتري: ٣/٢٠٣٧.

[٢٠] احمد كرمي، جمالية التعبير عن طول الليل في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي، اطروحة دكتوراه، جامعة لرستان/ ايران: ٣٧.

[٢١] ديوان البحتري: ٢/١٠١٤.

[٢٢] فايز القرعان، صورة الليل في شعر السياب وأثرها في توليد الدلالة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب: ٤٠٦.

[٢٣] ديوان البحتري: ٣/١٩٩٥.

[٢٤] د.فائق مصطفى، د.عبدالرضا علي، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات: ٣٣.

[٢٥] ديوان البحتري: ٢/١١٨٢.

[٢٦] الصورة البيانية في شعر ايليا أبي ماضي (رسالة ماجستير) عباس كاظم منسف: ٨٢.

[٢٧] ديوان البحتري: ٣/١٣٨٦.

[٢٨] (م.ن): ٢/٨٥٨.

[٢٩] (م.ن): ٢/١٠٥٠.

[٣٠] محمد احمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ٤٣.

[٣١] ديوان البحتري: ٢/١٠٩٩.

* الهزيع من الليل: الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربعه، وقيل ساعة منه، ينظر لسان العرب: ٣٧١/٨.

(٣٢) عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، (د.ط)، بيروت، دار العودة ودار الثقافة، (د.ت): ٦٥.

(٣٣) ديوان البحتري: ١٧٩٣/٣.

(٣٤) (م.ن): ١٦٣٣/٣.

(٣٥) (م.ن): ١٢٥٥/٢.

(٣٦) (م.ن): ١١٨٥/٢.

(٣٧) (م.ن): ١٩٧٢/٣.

(٣٨) (م.ن): ١٥٩٩/٣.

(٣٩) (م.ن): ١٩١٥/٣.

(٤٠) عبدالعزيز محمد شحادة، الزمن في الشعر الجاهلي، ط١، إربد، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع ومؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، ١٩٩٥: ٢٠٧.

(٤١) ديوان البحتري: ١٨٢٨/٣.

* جرادة: هو أبو بكر جرادة كانت أبي صقر اسماعيل بن بلبل، هامش الديوان: ٢٦٠/١.

(٤٢) دكتور السعيد محمود عبدالله، الليل في الشعر العربي الرومانسي الحديث، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ١٩٩١، بحث: ٦٣.

(٤٣) ديوان البحتري: ١٨٣١/٣.

(٤٤) الليل في الشعر العربي الرومانسي الحديث: ٢.

(٤٥) ديوان البحتري: ٢٠٠٩/٣.

(٤٦) الدكتور: سالم احمد الحمداني ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة،: ١٢٧.

(٤٧) ديوان البحتري: ١٧٨٨/٣.

* ابو نهشل محمد بن حميد، وآخواه: ابو تصر محمد وأبو عبدالله محمد، هم بنو حميد بن عبدالحميد الطائي الطوسي القائد الذي قتل في حرب بابك، هامش الديوان: ٣٩/١.

(٤٨) احمد كرمي، ينظر: جمالية التعبير عن طول الليل في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي، اطروحة دكتوراه: ٣٧.

(٤٩) ديوان البحتري: ٦٦١/٢.

(٥٠) د.منذر عياشي، الاسلوبية: بييروجيرو، مركز الانماء الحضاري حلب، سوريا، ط٢، ١٩٩٤م: ١٣٢-١٣٣.

(٥١) ديوان البحتري: ١٠٤٨/٢.

(٥٢) (م.ن): ١٦١٠/٣-١٦١١-١٦١٢.

* هوّم: هزّ رأسه من النعاس، وهو النوم الخفيف. لسان العرب: ٦٣٤/١٢.

* الوهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(٥٣) ديوان البحتري: ١٢٣٧/٢.

* الجؤشوش: الصدر من الانسان والليل ومضى جؤش من الليل أي صدر منه. لسان العرب: ٢٧٦/٦.

* الأسفع: الأسود. ينظر: لسان العرب: ١٥٦/٨.

1. Hassan Kamel Al-Sayrafi, Diwan Al-Buhturi, 2nd Edition, Dar Al-Maaref, Egypt, 3/1902.
2. Dr. Jaber Asfour, The Artistic Image in Arab Critical and Rhetorical Heritage, 2nd Edition, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, 1983.
3. Shawqi Dayf, On Literary Criticism, Dar Al-Maaref, Cairo, 1981.
4. Shawqi Dayf, On Literary Criticism, 2nd Edition, Dar Al-Maaref, Egypt.
5. Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ifriqi (d. 711 AH), Lisan Al-Arab, 3rd Edition, 1414 AH, Dar Sader, Beirut.

6. Marginal Notes of Diwan Al-Buhturi, Volumes: 1/39, 1/134, 1/149, 1/260, 1/282.
7. Manifestations of the Night in the Poetry of Ahmed Abdul Muti Hijazi, Fifth International Conference on Arabic Language, Iran.
8. Dr. Ezz El-Din Ismail, The Psychological Interpretation of Literature, Dar Al-Awda and Dar Al-Thaqafa, Beirut.
9. Ahmed Karmi, The Aesthetics of Expressing the Length of the Night in Arabic Poetry from the Pre-Islamic Era to the End of the Abbasid Era, Doctoral dissertation, University of Lorestan, Iran.
10. Fayez Al-Qar'an, The Image of the Night in Al-Sayyab's Poetry and Its Role in Generating Meaning, Journal of the Association of Arab Universities for Literature.
11. Dr. Faiq Mustafa, Dr. Abdul Redha Ali, On Modern Literary Criticism: Foundations and Applications.
12. Abbas Kadhim Munsif, The Rhetorical Image in the Poetry of Iliya Abu Madi, Master's thesis.
13. Muhammad Ahmad ibn Tabataba Al-Alawi, The Standard of Poetry, Commentary and Verification by Abbas Abdul Sattar, Reviewed by Na'im Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.
14. Abdul Aziz Muhammad Shihada, Time in Pre-Islamic Poetry, 1st Edition, Irbid, Jordan, Dar Al-Kindi for Publishing and Distribution and Hamada Foundation for University Services and Studies, 1995.
15. Dr. Al-Said Mahmoud Abdullah, The Night in Modern Romantic Arabic Poetry, Faculty of Arts, Menoufia University, 1991.
16. Dr. Salem Ahmad Al-Hamdani, The Phenomenon of Sadness in the Poetry of Nazik Al-Malaika.
17. Dr. Munther Ayashi, Stylistics: Pierogero, Civilization Development Center, Aleppo, Syria, 2nd Edition, 1994.